ـ المبحث الأول ـ

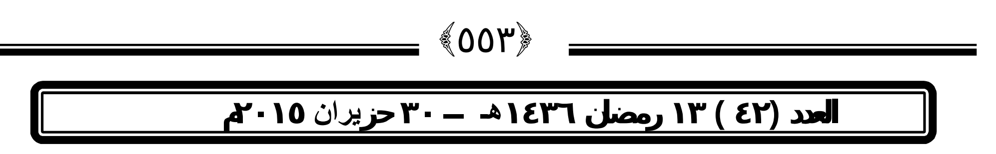
ـ الصفات الإلـهية عند السلف الصالح ـ

يقوم مذهب السل [١] على الإيمان بكل ما ورد في كتاب الله الكريم وسنة نبيه من الأسماء والصفات والأفعال ، وان الله تعالى واحد ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، فهم يأخذون تلك الصفات منها ولا تجاوز لها ولا تأويل بما يخالف ظاهرها [٢] ، كما وردت من غير زيادة عليها ، ولا نقصان فتوحيد الصفات عندهم : هو أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه ، وبما وصفه رسله الكرام نفياً وإثباتاً لأنهم يعتقدون أن أسماء الله وصفاته توقيفية لا يجوز أطلاق شيء منها على الله في الإثبات والنفي إلا بإذن الشرع ، فلا يثبتون له سبحانه من الأسماء والصفات إلا ما أثبته هو لنفسه أو أثبته له رسول الله (ﷺ) .

ولا ينفون منه من الأسماء والصفات إلا ما نفاه هو عن نفسه ، أو نفاه عنه رسول الله (ﷺ) وان ما ثبت له من تلك الأسماء والصفات فهو مختص به لا يشركه ولا يماثله فيها أحد من خلقه إلا محض الاشتراك في الاسم [٣] ، يقول ابن تيمية في توحيد الصفات : " أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسله نفياً وإثباتاً ، فيثبت لله ما أثبته لنفسه وينفى عنه ما نفاه عن نفسه " [٤].

وهم بذلك سلكوا منهج القرآن الكريم في الجمع بين الإثبات والتنزيه في مسألة الصفات فهم يثبتون لله صفات القدرة والإرادة والعلم .. ولكن هذه الصفات لا توجب مماثله أو مشابهه مع صفات المخلوقين الذين يمكن إطلاق التسميات والصفات عليهم ، لأن التماثل في الصفات فرع من التماثل في الذوات وبما أن الذاتيين مختلفتان فكذلك صفاتها ، وإذا سمي الله بها كان مسماة معيناً مختصاً به وإذا سمى بها العبد كان مسماه مختصا به أيضا ، فيكون وصف الخالق والمخلوق على ما يليق بكل واحد منها على حده. [5]

وهذا يعني أن الاشتراك الاسمي في الصفات ليس إلا محض اشتراك لفظي ولا يلزم من الاشتراك في مسمى الصفة الاشتراك في حقيقة تلك الصفة فإذا كانت ذات الله تعالى لا تماثل الذوات فكذلك صفاته لا تماثل الصفات [٦].



وقد أجمع سلف الأمة الإسلامية على التسليم بما ورد في كتاب الله وسنة نبيه (ﷺ) من آيات الصفات وقد انتهى عصر الصحابة والتابعين وكبار الأئمة وهم على هذا المنهج ، ولم تكن مسألة الصفات الإلهية موضوع خلاف بينهم فلم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائلها ، بل أنهم أجمعوا على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة دون تأويل أو تحريف أو تمثيل، وكانوا يؤثرون عدم الخوض في تفسيرها ، ويفوضون المراد منها إلى الله تعالى بعد تنزيهه عن كل مشابه بالإنسان أو المخلوق. [٧]

وهكذا أستمر حال المسلمين حتى برزت كثير من المسائل التي شكلت النواة الأساسية لعلم الكلام في الإسلام حيث ظهرت مشكلة (الصفات الإلهية) ومسألة (خلق القرآن) اللتان أثارهما الجعد بن درهم[٨]. وتولاهما من بعده الجهم بن صفوان.[٩]

وبين ابن تيمية منهج السلف بقوله " وقد علم ان طريقة الأمة وأئمتها .. إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكيف و لا تمثيل ، ومن غير تحريف ولا تعطيل . وكذلك ينفون ما نفاه عن تنفسه مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير الحاد ، لا في أسمائه ولا في آياته ، فان الله ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته ... فطريقتهم تضمن الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات إثباتا بلا تشبيه وتنزيها بلا تعطيل ، كما قل تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ، ففي قوله تعالى (ليس كمثله شيء) رد لتشبيه والتمثيل ، وفي قوله تعالى وهو السميع البصير ، رد للإلحاد والتعطيل "[١٠].

فكان اعتقادهم بأسماء الله وصفاته توقيفية ولا يعلم معناها إلا الله ،فكانوا يثبتون الصفات الواردة في الأيات والأحاديث القطعية الثبوت ، ويجرونها على ظاهرها ، ولا يتناولونها ببحث أو تفسير أو تأويل . ليس لأنهم لا يعرفون معانيها البته ، ولكنهم لم يحاولون البحث وراء ظواهر النصوص لمعرفة كنه هذه الصفات أو كيفية بذات الله تعالى ومعرفة ذلك فوق مستوى العقل البشري ، ومن أمور الغيب التي استئثر الله بعلمها[١١].فأجروها بلا كيف[١٢].

وبدأ الصراع والجدل بين الفرق الإسلامية التي أخذت بالنمو والتشكيل واستخدمت كل منهما ما يعضد رأيها من أدلة عقلية ونقلية ، فتشعبت المسائل الاعتقادية وافتراق

المسلمون فرقاً كثيرة وتطور علم الكلام على أيدي هذه الفرق . وكانت المعتزلة رائدهم في هذا التطور العقلي ثم جاءت الفلسفة الإسلامية لتدلوا بدلوها في خوض غمار هذا النقاش العقلي أيضاً[١٣] .

ـ المطلب الثاني ـ

ـ الصفات الإلهية عند الأشاعرة ـ

يتصف رأي الاشاعرة بالوسطية من بين السلف المثبتين للصفات ، والمعتزلة المأولبين للصفات ، فهو يقوم على أساس النقل والعقل ، وقد تبلور هذا المذهب على يد أبي الحسن الأشعري الذي كان في بداية حياته معتزلي ثم الفصل عن مذ ب الاعتزال وعمل على تكوين مدرسة مستقلة به ، تقوم على أساس دراسات متوازنة ، فقام بدراسة توفيقية بين مذهـــب السلف (المثبتين للصفات) ، والمعتزلة (المتأولبين) فقد جاء بمنهج جديد يقوم على أساس الوسطية . فكان يعرض أصول الدين على العقل ويستخدم الحجاج العقلي مسترشداً بالأدلة الشرعية لتقرير تلك الأصول . ولاسيما في إثبات الصفات الإلهية [١٤]، وقد سار على نهجه كثير من أتباعه . كالباقلاني والجويني والغزالـــي ، وقال الاشاعرة : بإثبات صفات (المعاني) وإنها ليست عين الذات ولكنها زائدة على الذات وبذلك يقول الأشعري:" أن الله عالم بعلم ، قادر بقدرة ، حي بحياة......" [١٥].

فهم يرون أن هذه الصفات هي:

١- أزلية (قديمة) غير حادثة ، لأنها لو كانت حادثة ، فلا يخلو الأمر من ثلاث احتمالات باطلة فإما إن يحدثها الله في ذاته ، وذلك مستحيل لأنه تعالى ليس محلاً للحوادث ، وإما أن يحدثها تعالى في غير ذاته ، وهذا مستحيل لأنه يترتب على هذا الغرض أن يكون من تحل فيه الصفة (كالإرادة) مريداً بإرادة الله ، أو أن تكون الصفة الحادثة مستقلة وقائمة بذاتها وهذا محال لأن الصفة لا تقوم بذاتها . إضافةً إلى أن هذا الفرق يؤدي إلى القول بتعدد القدماء . وهو باطل .

٢- قائمة بذاته تعالى ، فلا يجوز أن يقوم شيء من صفات المعاني بغير ذاته ، سواء كان في محل أو لم يكن في محل ، فالله تعالى عالم بعلم قائم في ذاته . وقادر بقدرة قائمة في ذاته ..... فهذه الصفات ليس لها وجود خارجي مستقلاً لكي تقوم بذاتها [١٦].

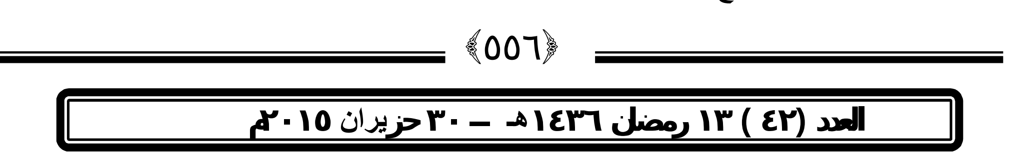
٣- الصفات ليست غير الذات ، ولا عين الذات ، ولكنها زائدة على الذات . فالذات الإلهية وصفاتها لا يتصور انفكاك بعضها عن بعض من حيث الوجود . وإن كان مفهوم الذات غير مفهوم الصفة . وعندئذ لا يؤدي ذلك إلى غيريه بين الذات والصفات فلا انفكاك بينهما ولا انتقال ولذلك لا يقال : هي هو ، ولا هي غيره[١٧] .

وقد أثبت الأشاعرة اختلاف الصفات الإلهية بعضها عن بعض وفرقوا بين صفات الذات ، كالعلم والإرادة والقدرة ...وصفات الفعل كالإحياء والإماتة والرزق ، وقالوا : إن صفات الذات قديمة وصفات الفعل حادثة . فهم خالفوا المعتزلة في صفتي الكلام والإرادة لأنهما من صفات الذات القديمة أما المعتزلة فيعدون صفات أفعال حادثة ويلاحظ إن الطرفين يتفقان على حدوث صفات الخلق والرزق والكلام والإرادة صفات الأفعال ، وإن اختلفوا في تحديدها وقد اختلفوا في مسألة القرآن الكريم هل هو قديم أزلي أم مخلوق حادث [١٨].

- ومن أدلة الأشاعرة على صحة آرائهم :

١- إن الله تعالى ملك والملك من له الأمر والنهي فهو (آمر ناه) أو يحدثه في محل أو يحدثه لا في محل ويستحيل ان يحدثه في ذاته ولا يخلو ، أما أن يأمر بأمر قديم أو بأمر محدث فإن كان محدثاً ، إما أن يحدثه في ذاته لأن الله لا تقوم به الحوادث ويستحيل أن يحدثه في محل لأنه يؤدي إلى أن يكون المحل موصوفاً به ويستحيل أن يحدثه لا في محل لأن ذلك غير معقول فيكون العلم قديم قائم صفة له [١٩].

٢- إن الله تعالى أطلق على نفسه هذه الأسماء في كتابه الكريم وعلى لسان نبيه (ﷺ) ومن هذه الأسماء اشتقت صفاته . فعليم في اللغة ذات له علم وقدير ذات له قدرة........ ويستحيل أن يكون العليم بلا علم كما لا يجوز صرف هذا اللفظ من معناه إلا بدليل قاطع[٢٠].



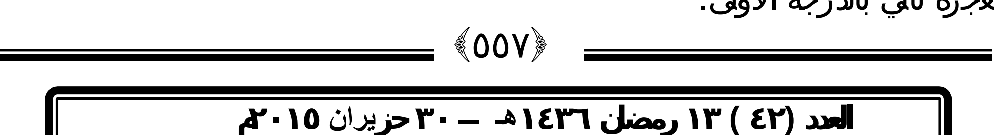
٣- لو كان العلم نفس الذات والقدرة نفس الذات كما قالت المعتزلة . لكان مفهوم العلم والقدرة أمراً واحداً . وهذا واضح البطلان ، ولو كان علم الله تعالى هو ذاته لكان العلم قديماً ولكان واجب الوجود ومعبوداً صانعاً للعالم وموصوفاً بصفات الكمال وهذا واضح البطلات [٢١].

أما بالنسبة للصفات الخبرية (كاليد والعين واستواء ..) فالاشاعرة مختلفون في تفسيرها فالمتقدون منهم كالأشعري والباقلاني . كانوا يثبتون هذه الصفات في بعض مؤلفاتهم . ويتحرجون من تأويلها[٢٢] ، أما المتأخرون من الأشاعرة كالإيجي والجرجاني والتفتازاني قالوا بتأويل ما ورد منها في الأيات والأحاديث على نحو ما يليق بذات الله تعالى[٢٣]. وبذلك كان الأشعري نصياً ، ولكنه لم يلغي استخدام العقل كما فعل المشبهة والمجسمة ولم يسرف في استخدام العقل كما فعل المعتزلة ، فحاول أن يلتمس أصول المسائل الكلامية (بالعقل مقيداً بالنص) واثبات الصفات الخبرية دون تشبيه أو تجسم .

وأبو منصور الماتريدي ت(٣٣٣هـ)،الذي كان معاصراً للأمام الأشعري كان أبرز المدافعين عن عقيدة أهل السنة في بلاد ما وراء النهر التي وصلت إليها آراء المعتزلة في نفي الصفات[٢٤].

وكان الماتريدي يقر بأن تقرير أصول العقائد يعتمد على العقل بإرشاد من الشرع . ولاسيما في آيات الصفات . فالع والنقل عنده مصدران لإثبات العقائد . فهو بهذا مخالفاً للسلف الذين يوجبون الاعتماد على النقل . إلا أنه رغم إقراره بأن العقل مصدر من مصادر المعرفة . فأنه يخشى عليه الزلل . وهي خشية لا تمنعه من النظر بقدر ما تدفعه إلى الاحتياط واتخاذ الوقاية . بالاعتماد على المنقول بجواز المعقول . ولذلك كان الماتريدي يأخذ . بحكم العقل فيما لا يخالف الشرع فأن خالف الشرع . فلابد لخضوعه لحكم الشرع[25].

وإذا كان الأشاعرة والماتريدية يحاولان إثبات تلك العقائد التي أشتمل عليها القرآن الكريم بالعقل والبراهين المنطقية ، وإن كليهما كانا يتقيدا بعقائد القرآن ، فان الماتريدية أعطوا للعقل مكانة وسلطاناً أوسع من الأشاعرة دون شطط أو إسراف منهم [٢٦]، ومثال على ذلك :



يذهب الماتريدي إلى أن المعجزة ليست الدليل الأول على صدق الرسول ، وإنما أخلاق الرسول وتعاليمه هي الدليل الأول ثم تأتي المعجزة بالدرجة الثانية في حين ترى الأشاعرة ان المعجزة تأتي بالدرجة الأولى.[٢٧]

ويبدوا واضحاً أن الأشاعرة والماتريدية يمثلان فريق أهل السنة فهم يسيران جنباً إلى جنب في هدم آراء المعتزلة [٢٨]. كما أن الماتريدية اختلفوا مع الأشاعرة في بعض المسائل كإنكار الكلام النفسي عند الماتريدية وإثباته عنده الأشاعرة[٢٩]. وبهذا يكون رأي الماتريدية في الصفات الإلهية هو التوفيق بين آراء الأشاعرة والمعتزلة وإن كان يقترب من المعتزلة في نقاط ويفترق معهم في نقاط أخرى فأنه يذهب إلى إثبات تلك الصفات فالله تعالى موصوف بكل صفات الكمال منذ الأزل فالصفات جميعاً قديمة فهو لا يفرق بين صفات الذات كالعلم والقدرة ... وبين صفات الفعل كالخلق والأمانة .. وإن تلك الصفات ليست عين الذات ولا غيرها فهي لا تغاير الذات بل أنها ملازمة لها ولا تنفك عنها . ليست قائمة بذاتها ولا تنفك عن الذات . فليس لها كينونة مستقلة عن الذات ، لذا فأن تعددها لا يؤدي إلى تعدد القدماء)[٣٠] .

ـ خلاصة رأي أهل السنة ـ

هو الأخذ بالحق مع الجانبين فنأخذ بالحق في التنزيه فلا نمثل ، ونأخذ بالحق في جانب الإثبات فلا تعطيل ، بل إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل ، نحن نثبت ولكن بدون تمثل فنأخذ بالأدلة من هنا ومن هناك ، والخلاصة : هم وسط في باب الصفات بين طائفتين متطرفتين طائفة غلت في التنزيه والنفي وهم أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم وطائفة غلت في الإثبات ، وهم المشبهة، وأهل السنة يقولون : لا تغلوا في الإثبات ولا في النفي ونثبت بدون تمثيل [٣١]، لقوله تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [٣٢]

ـ المبحث الثاني ـ

ـ الصفات الإلهية عند المعتزلة والجهمية والمشبهة والفلاسفة ـ

ـ المطلب الأول : الصفات الإلهية عند المعتزلة :

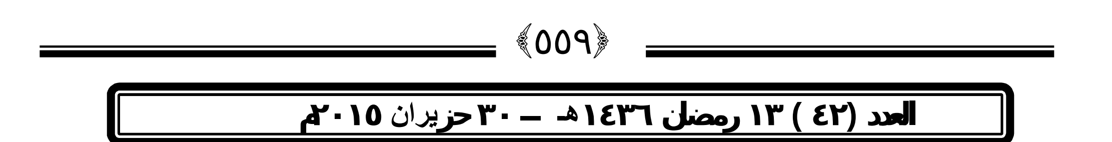
يقوم مذهب المعتزلة على نفي الصفات الزائدة على الذات ـ العلم ، القدرة ، والإرادة ، والسمع ..ـ ، فقد أدى الغلو في التشبيه والتجسيم إلى ردة فعل لدى المعتزلة ، فهم يقولون بالتنزيه المطلق للإله ، ونفي كل تصور بشري أو مماثلة بين الخالق والمخلوق ويصفون الله بالوحدانية والقدم ومخالفة الحوادث ، وهي صفات لا شك في أنها تنفي التعدد والحدوث ومشابهة المخلوق [٣٣] ، فعارضوا بذلك خصومهم من المشبهة والمجسمة فنفوا الصفات الإلهية القديمة الأزلية عنه تعالى . وقالوا : إن الله تعالى (ذات) قديمة واثبات صفات قديمة ـزلية زائدة على الذات يدخل التعدد والكثرة في الذات الإلهية وينتهي إلى القول بتعدد القدماء (ذات – صفات) وهذا القول كفر بالإجماع . وبـــه كفرت النصارى حين قالوا : إن الذات الإلهية ثلاثة أقانيم [٣٤].

فقد نفى المعتزلة صفات العلم والقدرة والإرادة .... لأن إثباتها يعني إثبات الهين قديمين . وهذا هو الشرك بعينه . وقالوا : إن الله عالم وقادر وحي بذاته لا بعلم وقدرة وحياة[٣٥] .

فقد نفى المعتزلة الصفات الزائدة عن الذات وعدوها قائمة في ذاته تعالى لا زائدة عليها . فالله تعالى (عالم بذاته قادر بذاته ، وحي بذاته ، لا بعلم وقدرة وحياة فهي معان قائمة به لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص صفاته لشاركته في الإلوهية)[٣٦] . والقول بتعدد القدماء كفر صريح .

ـ ومن أدلة المعتزلة على صحة آرائهم :

ـ أولاً : إن الصفات لو كانت زائدة على الذات فلا تخلو إما أن تكون حادثة فليزم ذلك بقيام الحوادث بذاته تعالى ، وهذا ظاهر البطلان لامتناع قيام الحوادث بذاته تعالى ، وإما أن تكون قديمة وذلك يلزم تعدد الآلهة وهذا الفرض باطل [٣٧].



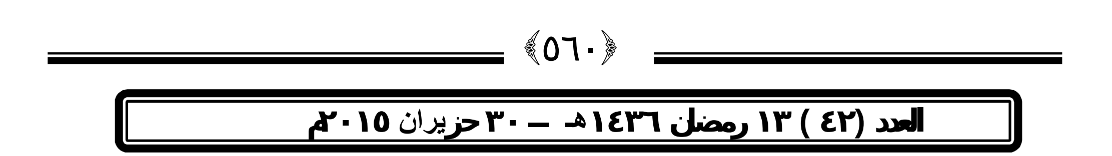
ثانياً : قالوا : لو كان الله تعالى عالماً بعلم زائد على ذاته وهي بحياة زائدة على ذاته كما هو حاصل في الإنسان ، لكان هنالك صفة وموصوف وحامل ومحمول ، وهي صفات الأجسام المنزه عنها الله سبحانه وتعالى واجب الوجود(٣٨).

[redacted] كما نفى المعتزلة التركيب والانقسام في حقه تعالى ، فالله واحد لا تكثير فيه بوجه من الوجوه ، وإن ذاته لا تقبل الانقسام لأنه تعالى غير مركب كبقية الموجودات . لأنه ليس بجسم ولو كان صفة لكان مركباً ، والمركب مفتقر إلى أجزائه ، وأجزاء غيره ، والمفتقر إلى غيره لا يكون واجبا بنفسه (٣٩).

يقول العلاف(٤٠): (هو عالم بعلم هوهو . وقادر بقدرة هي هو . وهو حي بحياة هي هو - - - وكان يقول : إذا قلت إن الله عالم ثبت علماً هو الله ونفيت عن الله جهلاً ودللت على معلوم كان أو يكون ...) (٤١)ورغم نفي المعتزلة للصفات الإلهية إلا أنهم لم ينكروا الصفات الإيجابية (المعاني) لأن إنكارها يجعل الإلوهية فكرة مجردة لا مضمون لها ، لذا فهم قد أرجعوا جميع تلكم الصفات إلى صفتين رئيسيتين هما (العلم .. والقدرة)(٤٢) ، ورغم نفي المعتزلة للصفات الإلهية ، إلا أنهم يثبتون لله تعالى الأسماء فأطلقوا عليه حياً وعليماً ... وذهبوا إلى تأويل تلك الصفات إلى معان تليق بالذات الإلهية(٤٣).

- المطلب الثاني : الصفات الإلهية عند الجهمية(٤٤) (أهل التعطيل):

ينكرون صفات الله عز وجل . بل غلاتهم ينكرون الأسماء ، ويقولون : لا يجوز أن نثبت لله إسماً ولا صفة لأنك إذا أثبت له إسماً . شبهته بالمسميات أوصفه شبهته بالموصوفات إذا لا نثبت إسماً ولا صفة وما أضاف الله إلى نفسه من الأسماء فهو من باب المجاز ، وليس من باب التسمي بهذه الأسماء ، فهم على خلاف مع المعتزلة الذين ينكرون الصفات ويثبتون [redacted] الأسماء ، وكذلك الأشاعرة الذين يثبتون الأسماء وسبعاً من الصفات ، وكل هؤلاء يشملهم أسم التعطيل لكن بعضهم معطل تعطيلاً كاملاً كالجهمية وبعضهم تعطيلاً نسبياً ، مثل المعتزلة والأشاعرة (٤٥).



وأما أهل التمثيل المشبهة* . فيثبتون لله تعالى الصفات ويقولون : يجب أن نثبت لله الصفات لأنه أثبتها لنفسه لكن يقولون : أنها مثل صفات المخلوقين . فهؤلاء غلوا في إثبات الصفات وأهل التعطيل غلوا في التنزيه ، فهؤلاء قالوا: يجب عليك أن تثبت لله وجهاً ، وهذا الوجه مثل وجه أحسن واحد من بني آدم قالوا :لأن الله خاطبنـا بما نعقل ونفهم ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ (٤٦). ولا نعقل ونفهم من الوجه إلا ما نشاهد ، وأحسن ما نشاهد الإنسان . فهو على زعمهم والعياذ بالله على أحسن واحد من الشباب الإنساني ،ويدعون إن هذا هو المعقول معقول(٤٧) .

ـ المطلب الثالث ـ

ـ الصفات الإلهية عند الفلاسفة ـ

ذهب الفلاسفة من المسلمين كالكندي وابن سينا والفارابي وابن رشد . إلى نفي الصفات [redacted] الإلهية الزائدة عن الذات ، فهم كالمعتزلة لم يثبتوا صفات المعاني (القدرة والإرادة والعلم...) على أنها زائدة على الذات ، وإنما أرجعوها إلى الذات وقالوا إنها عين الذات ، فالله تعالى عالم بالذات بلا علم وقادر بالذات بلا قدرة وحي بالذات بلا حياة .... (٤٨)، فقد أتخذ الفلاسفة منهجاً خاصاً بهم وحاولوا التوفيق بين الأراء المتنازعة (الأشاعرة والمعتزلة) فدخلوا طرفاً ثالثاً في الخصومة فكانت آرائهم تعمل على الملائمة بين النفي والإثبات أو بين التجسيد والتجريد وإن كانت نحو التجريد أكثر ميلاً وأوضح تعبيراً.

فهم رغم تأثيرهم بالفلسفة اليونانية عموماً وفلسفة أفلاطون خصوصاً ، حيث كان أثر الفلسفة الأفلاطونية واضحاً لدى الكثير منهم ، فقد كان أثر أفلاطون في الفكر الإلهي والكلامي الإسلامي واضحاً عند الكندي وابن رشد ولم يسلم من تأثيره أحد من أولئك الفلاسفة وإن كان يغلب على البعض منهم تأثير أرسطو أو غيره من فلاسفة اليونان(٤٩) .

غير أن أدلتهم لإثبات وجود الله ووحدانيته كانت تبتعد عن التراث الإغريقي وتتجه نحو القرآن الكريم لتستمد من آياته ما يعزز صحة تلك الأدلة . لذا فقد كان الفلاسفة يحاولون التنزيه المطلق ويقرون بوجود صفات الخالق تعالى. أي أنهم لم يكونوا من المعطلة وفي

الوقت ذاته ينفون أن يكون لتلك الصفات وجود زائد على الذات الإلهية ويؤكدون على أن المفهوم منها واحد وهو ذاته ، أي أنهم كانوا حريصين على التفرقة بين الذات الإلهية وذات البشر . فإذا كانت ذات الإنسان مغايرة لذاته تعالى فالله تعالى (هو الوجود الأول وهو واجب الوجود لذاته ، أو العلة الأولى ، أو الحق الذي أكسب كل شيء حقيقته . أما الصفات التي ورده ذكرها في القرآن الكريم فلا سبيل إلى إنكارها ، وإنما ينبغي أن تفهم على أنها اعتبارات ذهنية لا غنى عنها حتى يستطيع عقل الإنسان القاصر أن يكون لنفسه فكرة عن حقيقة الذات الإلهية) (٥٠)، ويتضح أن الفلاسفة لم يكونوا من المعطلة لأنهم يقرون بالصفات الإلهية ولا يمنعون إطلاقها على الله سبحانه وتعالى ، لأن تلك الصفات قد وردت شرعاً فلا سبيل لإنكارها ويجوز إطلاقها على الذات الإلهية لكنها جميعاً ترجع إلى ذات واحدة وبذلك لم يثبتوا صفات زائدة على ذاته تعالى.(51)

فان الفلاسفة وإن نفوا الصفات الزائدة على الذات ولم يثبتوا إلا ذاتاً واحدة من كل وجه إلا أنهم لم ينكروا الأفعال ، والصفات السلبية وكثرة الإضافات ، وانهم ردوا صفة العلم إلى الذات، فالسمع هو علم الله التام المتعلق بالمسموعات ، والبصر علمه بالألوان ، إما كونه تعالى حياً : فهي عندهم علمه بذاته لأنه يعلم ذاته فهو حي ، أما إرادته فتعني إنه يعلم وجه الخير والنظام فيوجد ما يعلمه سبباً لوجود الشيء.... (٥٢)، فهم يرون إن الله تعالى (واجب الوجود بذاته) قديم وإن تلك الصفات المتغايرة لو كانت زائدة على الذات وكانت مشاركة للذات في القدم مما يلزم عنه القول بتعدد القدماء – الذات والصفات – وهذا باطل وكفر بالإجماع وبه كفرت النصارى حين قالوا : إن الذات الإلهية ثلاث أقانيم قديمة ، وبذلك قالوا إن الصفات هي عين الذات(٥٣) .

وبهذا قالوا : إن الله (واجب الوجود لذاته واحد بسيط لا تكثير فيه بوجه من الوجوه لأنه الواحد التام الذي لا يقبل التجزيئية والانقسام) (٥٤)، وبذلك ذهب الفلاسفة إلى الاعتقاد بأن الكثرة والتركيب في واجب الوجود محال لذا وجب نفي الصفات الزائدة عن الذات أي عن واجب الوجود(٥٥).

ويبدوا إن الفلاسفة الإسلاميين سلكوا منهجاً وسطاً بين الأشاعرة والمعتزلة ، إلا أنهم كانوا أكثر ميلاً نحو المعتزلة بإنكارهم الصفات الزائدة على الذات فهم في محاولتهم التنزيه المطلق



للإله والابتعاد عن التشبيه والتجسيم فكانوا أكثر أصحاب الرأي تأويلاً وقد فرق ابن رشد بين العالم الإلهي والعالم الإنساني واستدل بما جاء في القرآن الكريم من آيات تدل على صفات الخالق تعالى بما لا تشعر بوجود نوع من التعدد في الذات الإلهية ، فميز بين نوعين من الصفات الذاتية ووجودية (صفة الوجود – والصفات السلبية) وهي الصفات التي تنفي عن الله تعالى صفات النقص الموجودة لدى الإنسان ، وصفات أفعال : وهي الصفات التي تحدد الصلة بين الخالق والمخلوق ، فكان (ابن رشد) ينعى على المتكلمين عدم أخذهم بهذه التفرقة للفصل بين صفات الخالق وبين صفات المخلوقين ، ويرى إن من الأجدر بهم الآن لا يشغلوا أنفسهم بما لا طاقة لهم به ، وإن يعترفوا بتعدد الصفات من وجه النظر الإنسانية . أما في حقيقة أمرها فهي فوق مستوى العقول والإفهام لأنها شيء واحد مع الذات وتلك حقيقة يجب إلا يصرح بها للجمهور لأنها خاطئة لأنهم يعجزون عن فهمها (٥٦).

ـ الخاتمـــــــة ـ

بعد هذا العرض لبعض آراء الفرق الكلامية في مسألة الصفات الإلهية . وفي ختام هذا المجهود المتواضع ، أقدم خاتمة تتضمن خلاصة مختصرة لأهم الاستنتاجات التي تم التوصل إليها :

١- جميع المصادر القديمة تجمع على أن المسلمين في عهد النبي (ﷺ) ، وعهد الصحابة (رضي الله عنهم) ،لم يختلفوا في مسائل العقيدة كإثبات وجود الله وصفاته . فهم فهموا معانيها وسكتوا عنها .
٢- بعد نشوء الفرق الكلامية وانتشار الإسلام في بقاع الأرض ، ظهر الخلاف بين الفرق الإسلامية ، وكان يدور حول مسألة الصفات الإلهية وخلق القرآن وأشتد النزاع حول الصفات الإلهية هل هي زائدة على الذات أم هي نفس الذات .
٣- نجد لدى بعض الفرق الكلامية اتفاق على صفات وافتراق في أخرى، فهناك اتفاق بين المعتزلة والأشاعرة بالقول بحدوث صفات الأفعال ، ويعود هذا إلى الاعتقاد بأن هذه الصفات تتعلق بالحوادث .
٤- إن الخلاف الذي وقع بين الفرق الإسلامية واتساع رقعة الخلاف ، يعود إلى الإسراف في استخدام العقل دون النقل ، هذا مما دفع بعض الفرق الإسلامية لتقديم حلول وسط في هذه المسألة وهو الأخذ بين النقل والعقل .
٥- نحن نؤمن بوجود الله تعالى وأنه خالق لكل شيء ، وإن لم نراه بأعيننا . فيجب علينا أن نعلم إن صفات الله هي فوق كل ما يتصوره العقل البشري ، سواء كانت زائدة على الذات أم غير زائدة ، ما دام الغاية واحدة ، وهي تنزيه الله تعالى ، فيجب علينا الإيمان بها .
٦- كما إن هذا الخلاف ظهر نتيجة لتسلط بعض الفرق الكلامية في السلطة وحاولت فرض آرائها بالقوة على الآخرين ، مما أدى إلى تصلب الفرق الأخرى فوسعت الخلاف والتشديد في الموقف .
٧- إن هذا الخلاف ليس بالأمر الخطير لأنها ليست من أصول الدين . وهذا الخلاف بين الفرق الإسلامية ينتهي إلى القول بوحدانية الله تعالى وتنزيه عن كل ما لا يليق به .

دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين .

الهوامش

(١) مصطلح يطلق على الصحابة والتابعين . ومنه أخذت تسمية السلفيين: وهم طائفة أرادوا العودة بدراسة العقائد الإسلامية على ما كانت في عهد النبي (y) صحابة التابعين . وقصر معرفة هذه العقائد على الكتاب والسنة النبوية ، وقصر دور العقل على الإيمان والتصديق بها ، ينظر أصول الدين الإسلامي / رشدي عليان وقحطان الدوري ، – مطبعة دار الحكمة – بغداد ، ص٢٦ وما بعدها

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ، علي بن علي بن محمد أبي العز الدمشقي ، ت ٧٩٢ ، حققه وأخرج أحاديثه د. عبد الله بن عبد المحسن الترك / شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ١ / ١٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ١/ ١٨ .

(٤) الرسالة التدمرية ، ابن تيميه ، جمال العبدلي ، بغداد ١٩٨٩، ص٦ .

(٥) مقدمة عبد التركي على الطحاوية ، ١ / ٥٠ .

(٦) المصدر السابق نفسه ، ١/ ١٩ .

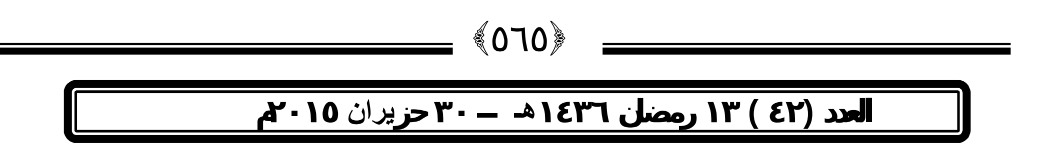
(٧) المقدمة على مناهج الأدلة ، محمود قاسم .ص٣٦وما بعدها ، ومقدمة شرح الطحاوية عبد الله التركي ١/ ١٨وما بعدها.

(٨) الجعد بن درهم كان من موالي بن الحكم وكان مؤدياً لمروان بن الحكم آخر خلفاء بني أمية . أظهر مقالته في خلافة هشام بن عبد الملك ١٠٥–١٢٥ هـ قتله خالد بن عبد الله القسري والي العراق ، ينظر: شرح العيون سيف نباته، ص١٨٦ ، وينظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير،/٤ ٧٠ .

(٩) جهم بن صفوان الراسي ، وكنية أبو محرز . ويعرف بالترمذي السمرقندي كان كاتباً للحارث بن سريج والذي خرج على الدولة الأموية . فقتله سلم بن أجوز المازي سنة ١٢٨هـ بأمر من والي خرسان نصر بن يسار، ينظر: التبصير في الدين ،الاسفرايني ،ص٩٦ .

(١٠) الرسالة التدمرية والفتوى الحموية الكبرى ، تحقيق محمد حامد ، مطبعة جمال العبدلي ، بغداد ، ١٩٨٩م ، ص٦ .

(١١) مقدمة عبد الله التركي على شرح الطحاوية ، ١/ ١٩ .



(١٢) رسالة التنزيه ، لابن قدامة ، ص٢٤ ،

(١٣) الفرق بين الفرق – البغدادي ص١٤-١٥ والتبصير في الدين – الاسفراييني ص٢١، ودراسات في الفكر الإسلامي – الآلوسي ، ص٧٤-٧٦ .

(١٤) مقالات الإسلاميين – الأشعري – تحقيق محمد محي الدين عبد الحمد ط١ مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٠ – ص٢٤ .

(١٥) الايانة عن أصول الديانة ، عبد القاهر البغدادي – تحقيق مجدي فقي السيد – القاهرة – مصر ص٢٧١- ٢٧٤

(١٦) الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٧٢ .

(١٧) شرح النسفية ، للتفتازاني ص٧٨-٧٩ .

(١٨) المقدمة على مناهج الأدلة ، محمد قاسم ص٤٩ .

(١٩) دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ، د. عرفان عبد الحميد ، ط١ مطبعة الإرشاد- بغداد ،١٩٦٧ ص٢٣٩

(٢٠) أصول الدين الإسلامي – رشدي عليان – و قحطان الدوري – ط٤ ١٩٩٠ ،ص١٤٣ .

(٢١) المصدر نفسه ، ص١٤٣ .

(٢٢) الإبانة عن أصول الدين الديانة ، الأشعري ، ص٩ وعقيدة أهل السنة والجماعة ، فاطمة أحمد ص٦٩-٧١ .

(٢٣) تفسير الصفات ، محسن عبد الحميد ، ص ١٤.

(٢٤) تاريخ المذاهب الإسلامية ، محمد أبو زهرة ، ص١٧٦ .

(٢٥) المصدر نفسه ، ص١٧٦ ، وتفسير الصفات الإلهية ، محسن عبد الحميد ، ص١٤ .

(٢٦) تاريخ المذاهب الإسلامية ، أبو زهرة ، ص ١٧٦ وما بعدها .

(٢٧) مناهج الأدلة ، ابن رشد ، ص١٢٦وما بعدها .



(٢٨) مناهج الأدلة ، ابن رشد ، ص١٢٢-١٢٧ .

(٢٩) المصدر نفسه ، ص١٢٦وما بعدها .

(٣٠) التفتازاني على النسفية ، ص٧٧- ٧٩ .

(٣١) شرح العقيدة الواسطية ، ابن تيمية ، شرح ابن عثميين ، تحقيق صلاح الدين محمود ، دار العدالة الجديد ، القاهرة، ط(١) ، ١٤٢٨هـ. ٢٠٠٧م ، ص٢٨١.

(٣٢) سورة الشورى ،من الآية (١١) .

(٣٣) مقالات الإسلاميين ، أبو الحسن الأشعري ، دار الحداثة ، ط٢ ، (١٤٠٥هـ ١٩٨٥م)، ١ /٢١٦-٢٢٤ .

(٣٤) شرح العقائد النسفية / التفتازاني ص٧٨- ٧٩ .

(٣٥) الملل والنحل ، الشهرستاني ، ١/ ص٤٤ .

(٣٦) المصدر نفسه ، ١ /٤٤ .

(٣٧) شرح العقائد النسفية سعد الدين التفتازاني ، فريمي يوسف ضيا . دار سعادت – شركة صحافية عثمانية أعادت طبعة بالأوفست . مكتبة المثنى – بغداد ص٩٧ .

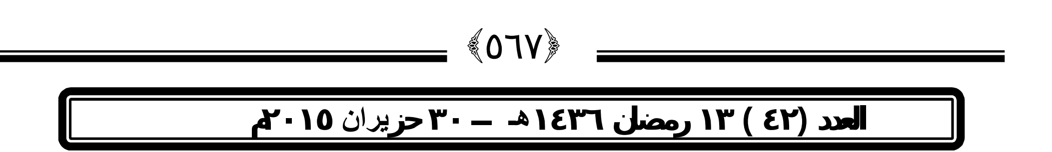
(٣٨) تهافت الفلاسفة – الغزالي ، تحقيق سليمان دنيا ص١٥٨ .

(٣٩) تهافت الفلاسفة – الغزالي ص١٦٢ .

(٤٠) العلاف : هو محمد بن الهذيل العلاف شيخ المعتزلة ،ولد ١٣١هـ وقيل ١٣٤ يعد من أشهر رجال المعتزلة ، ت ٢٣٥هـ – الشهرستاني الملل والنحل ١ /٤٩ .

(٤١) الملل والنحل ،الشهرستاني ،١ /٨٥ .

(٤٢) المصدر نفسه ، ١ / ص٨٥ .



(٤٣) مقالات الإسلاميين ، الأشعري ١ /٢٣٢ ، وينظر فجر الإسلام ، أحمد أمين ، ص٢٩٧ .

(٤٤) الجهمية ، هم اصحاب جهم بن صفوان ، وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمذ وقتله سلم بن احوز المازني في اخر ملك بني امية ، وافق المعتزلة في نفي الصفات الالهية ، ينظر : الملل والنحل ، للشهرستاني ، تحقيق ابي محمد محمدج فريد ، المكتبة التوفيقة ، القاهرة ، ١/ ٩٩ .

(٤٥) العقيدة الواسطية ، ابن تيمية ، ص٢٨١ .

* المشبهة : وهم الذين شبهوا الله بالمخلوقات ومثلوه بالحادثات ، فمنهم السبائية ، والبنانية ، والمغيرية ، وغيرهم من مشبهة الكرامية اصحاب ابي عبد محمد بنم كرم السجستاني ، ينظر : حدوث الفتن وجهاد اعيلان السنن صنفه محمد احمد الاعظمي ، طباعة رضا اكاديمي ، ١٤٢١٢هـ ، ص ٣٠٠ .

(٤٦) سورة الرحمن ، آية ٢٧ .

(٤٧) شرح العقيدة الواسطية ، ابن تيمية ، ص٢٨١ .

(٤٨) تهافت الفلاسفة – الغزالي – تحقيق سليمان دنيا – القاهرة – دار المعارف ١٩٦٦– ص١٨٥ والتفتازاني – شرح العقائد النسفية ص٧٩

(٤٩) فكرة الإلوهية عند أفلاطون – مصطفى حسن النشار ص٢٧٠ – ٢٧١ .

(٥٠) المقدمة على مناهج الأدلة – محمود قاسم ص٤٠ وفكرة الإلوهية عند أفلاطون – مصطفى حسن ص٢٦٨ وتطور تفسير القرآن محسن عبد الحميد ص١٣٦ .

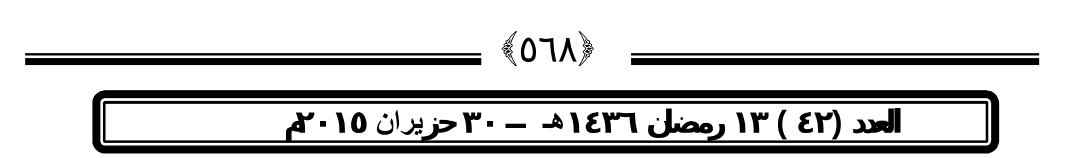
(٥١) تهافت الفلاسفة / الغزالي ص١٥٨ – المقدمة على مناهج الأدلة – محمود قاسم ص٤٠ .

(٥٢) الاقتصاد في الاعتقاد ، حجة الإسلام الغزالي ، بغداد ، مكتبة الشرق الجديد ص٨٦ ، وتهافت الفلاسفة ، الغزالي، ص٦٤ .

(٥٣) شرح العقائد النسفية – التفتازاني ص٧٧ ، والاقتصاد في الاعتقاد الغزالي ص٩٢-٩٣ ، وأصول الدين الإسلامي ص١٤٤– ١٤٥ .

(٥٤) مذهب أهل السنة والجماعة ، فاطمة أحمد ،ص ٥٧٨ .

(٥٥) تهافت الفلاسفة ، الغزالي ص١٥٩



الصفــات الإلـهيـــــة في الفكر الإسلامي



ان موضوع الصفات الإلهية من موضوعات العقيـدة الإسلامية الهامة جدا ، التي لابد من الوقوف عليها لدقتها وكثرت خلاف الفرق الكلامية بها ، الأمر الذي قاد بتلك الفرق ان تكفر أحداها الأخرى ، عندما خاضوا في مسالة الصفات الإلهية ،غير انهم متفقون ومجمعون على أن الله واحد في ذاته وصفاته وأفعاله . فلا ذات تشبه ذاته تعالى وليس له صفتان من جنس واحد . وليس له مماثلة أو مشابهة حقيقية بين صفاته وصفات المخلوقين، وكذلك الأفعال فالله سبحانه وتعالى واحد في أفعاله ولا يشركه في ذلك أحد، وقد استندوا في إجماعهم على الاعتقاد بوحدانية الله تعالى وتوحيد الربوبية وتوحيد الصفات إلى ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد أتفق المسلمون جميعاً على أن الله تعالى يتصف بصفات الكمال الثبوتية الواجبة لذاته والتي أطلقها الخالق على نفسه ، ونص عليها القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وبذلك كان الصدر الأول للإسلام قائم على أساس التسليم إلى ما جاء في القرآن الكريم ،والسنة المطهرة، فكان التوحيد الخالص مذهبهم وكان التنزيه هو العقيدة الرئيسة في مذاهبهم .

وبالرغم من إجماعهم على توحيد الله تعالى ، وتنزيهم لذات الله ، إلا ان مشكلة الصفات الإلهية قد ظهرت وجرى الكلام عنها فيما بين الفرق الكلامية ، وتباينت الآراء في تفسيرها وتشعبت الأقوال فيها على مذاهب عدة ، سيحاول الباحث معالجة تلكم المسائل والخلوص الى نتائج علمية، والله الموفق.

